القصة الرابعة ـ زوج سرمدي

مريم عبد المولى

١٠فبراير- هذا التاريخ لا يُنسى ، بدء معاناتي مع زوجي ، القبطان الذى ومنذ زواجنا لا أراه كثيراً، كنت أحبه، و كان لي كل شيء، أنجبت منه ثلاثة أبناء، أكبرهم بكلية الحقوق ، وأصغرهم بالحضانة...سلمى وأحمد والصغير عبد الله ، كأسرة مرفهة ، إلى أن أتى ذلك اليوم ...فقدأحب أخرى من فرنسا، و اكتشفت خيانته،تعرف عليها بإحدى رحلاته، وها اقترب موعد زفافهما، أصبحت معاملته كالصخر، هي تريد الزواج هنا، ستأتي لتعيش هنا ، نعم يريد أن يطردنا من هذا المنزل أنا وأبنائي ليتزوج بأخرى ، رجوتهُ بأن يتزوج بمكان آخر، ليس لدي أنا وأبنائي منزل لنعيش به ، وحتى ألقى بملابسنا خارجاً! لم يعطني مالاً حتى...غدوت بالشارع، لا أعرف أين أذهب أنا وأبنائي ، حتى أهلي توفوا منذ زمن، لا أحد لدي غيره!!!! إلى أن أخذتني جارتي للعيش المؤقت معها ، طبعاً كانت نظرات الجيران إلي كجمر من النار، ومن كلامهم الجارح، أحسست بأنني أفقد روحي شيئا فشيئا، حتى الدموع تجمدت، لا أعلم ما هذا الاختبار المؤلم ؟!

ما جعلني مستمرة أولادي ، لولاهم لكنت مت منذ زمن ،وطبعاً كنت أبحث عن عمل، لأنني سوف أبحث عن مكان، حتى وإن كان كهفاً ، يا الله يامقلب القلوب، أمس كُنت امرأة و ألف امرأة تتمنى أن تكون مكاني ، واليوم أنا بالشارع

طبعاً زوج جارتي لم يتحمل ، كنت أسمع عراكه مع جارتي ، بأنه لا يملك مالاً لينفق على أبناء غيره ، أيرمي الأزواج زوجاتهم لأنفق أنا عليهم؟! ياالله كم كانت مؤلمة تلك الجملة ، انفجرتُ بكاء أتحسر وألوم زوجي ، لماذا فعلت بي هذا يامحمد ، لماذا ؟ ماذا فعلت لك ،لم أقصر بشيء ، كادت الأرض تبكي لبكائي ؟جلست أدعو الله بأن يسترني أنا وأولادي ، وأخذت قراراً بأن أذهب، لا أعلم إلى أين، لكن سوف أذهب، جارتي تبكي وتقول لي بأن أسامحها ، أنا لم أغضب منها إطلاقاً ، بالعكس هذا جميل لن أنساه بعد أن طردني زوجي، لم أستغرب ، أعطتني مبلغاً ، كان صغيراً، ولكن أنا أحتاج له ووعدتها بأن أرده لها حالما يرزقني الله تعالى ، أخذت أولادي، وخرجت لا أعرف أين أذهب ، إلى أن جاء الليل وأنا بالشارع ، رآنى شيخٌ ففتح لى جامع النساء كي لا أبقى بالشارع ، مؤقتا طبعاً فلا يمكنني المكوث به طويلاً ، لم يأت مصليات اليوم التالي ، طبعا لأننا به، سمعته يقول بأنه لن يفتح الجامع اليوم ، جاء بالطعام، وكانت زوجته هي من أرسلته ، كان كرم الله كثيراً، وفي اليوم التالي جاء ليخبرني بأن زوجي طلقني، وبأن شخصاً ما يريد إعالتى أنا وأولادى ،قال لي الشيخ بأنه أرمل كان متزوجاً ،وتوفيت زوجته بمرض ولم ينجبا، وهو يريد بأن يسترك بعد ما سمع عنك، هل توافقين !؟ قال ستجلسان مع بعضكما لتتحدثا ، قبل الزواج بالفعل جلسنا وبدا رجلاً ذا خلق، متعلماً، تظهر عليه الثقافة ، حتى كان بشوشاً ، ويعمل بوظيفة جيدة ، وهو لم يشعر بفراغ أو كان هدفهُ تعويضه عن زوجته ، سمعتُ أنه

كان يحبها كثيراً، لكن علم بأمري فأخذ قرار ستري ،قال: سأعاملك بسُنة نبينا، لن ينقُصك شيء، حتى لم ينظر لى وهو يتحدث ! لن أنكر بأنني تحسرت على نفسي، ،بل صعبت على كثيراً وأحسست بالشفقة ، رغم أنه أكد لي بأنه ليس شفقة ، بل قال لي من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله بالآخرة أيضا خوفاً من الفاحشة ، وأنه سيعاملني كما أمر الله، أنا لم أكن كبيرة بالعمر ، ولا هو! كان يكبرني، لكن ليس كثيراً، بضعة أعوام ، وافقت ولكن بعد أن تنتهي العدة...أقسم أن دافعى الستر وأن لا أحتاج لآحد ، أحدثكم الآن : بعد زواج دام ١٥عاماً لم أرى بحنانه ولا بعطفه، ولم أحس يوماً بتقصير، أقسم بأنني أحببته كما لم أحب من قبل ،أولادي هم أولاده ،كان جميلاً بالمشاعر، كان يخاف الله ، اليوم الذكرى الخامسة عشرة لزواجنا ، افتقدته كثيراً، أبكي على فراقه كل يوم ، كأننى لم أتزوج قبلاً ، أحببته وأحببتُ الأرض التي يمشي عليها ، أفتقدك كثيراً ، أنا مدينةً لك بحياتي، أعَلتني وأعلت أولادي، رعيتنا ولم نحس لحظه بالغربة ، أفتقدك كثيراً، أقبل صورتك كل يوم..إلى زوجي: أنت كفيلي ومعيني، أنت كنت سندي، كنت أخاً وأباً .. كنت كل شيء، أنت الخير ، أحبك وسأظل أحبك، ولن أكف عن حبك ، أشتاق إليك، زوجتك الفاقدة زهراء

*****